

الدكتورة الأخت نرها الخوري

مديرة مدرسة ثانوية السيدة للراهبات الأنطونيات الحازمية - الجمهور

«انا مختلف(ة) ولي الحق أن أتعلم»

مداخلتي في مؤتمر «التجديد التربوي عبر التطوير المدرسي» تحت عنوان «أنا مختلف(ة) ولي الحق أن أتعلم» تتناول الدمج المدرسي الذي يطال المؤسسة التربوية لأنها ملتزمة في كيانها قضايا الإنسان، كل انسان.

الإشكالية

هناك اليوم، في العالم، أكثر من مئة وخمسين مليون طفل (دون 15 سنة) بحاجة لعناية تربوية خاصة. وفي لبنان، نلاحظ أن الصعوبات التعليمية تزداد كثيراً عند الأطفال، رغم انتشار الوسائل التقنية والإلكترونية في البيوت والمدارس. وتشير الدراسات إلى أن هناك بين 7 و 8 ٪ من عدد السكان في لبنان بحاجة لعناية خاصة. وبدأت المدارس تواجه حالات مماثلة في عمر مبكر للأطفال في قسم الحضانة كما تلاحظ ازدياد عدد التلامذة الذين يعانون من صعوبات في التعلّم والتركيز...

هل يمكننا ان نبقي مكتوفي اليدين أمام هؤلاء الأولاد الذين هم بيننا؟

أخذت إدارة مدرسة ثانوية السيدة للراهبات الأنطونيات في الحازمية والجمهور، انطلاقا من

قناعاتها، مبادرة جريئة بطرح فكرة دمج تلامذة ذوي احتياجات خاصة في صفوفها، وهذه المبادرة ما لبثت ان أصبحت قراراً، فرض تجديداً تربوياً وأعطى دفعاً مهماً للمدرسة.

في مداخلتي، سأبدأ أولاً بثلاث ملاحظات وثلاثة تعاريف وثلاثة تساؤلات تضعنا في إطار اشكالية الدمج المدرسي؛ ثم أنتقل ثانياً إلى القناعات التي دفعتنا لأخذ قرار الدمج والعمل به، وسأتوقف ثالثاً عند خبرة الدمج في مدرستنا لجهة الخطوات العملية، وبعدها سأعرض في نقطة رابعة واقع البرنامج اليوم، وأختم بتساؤلات نستشرف فيها مستقبل الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة.

أولاً: ملاحظات وتعاريف وتساؤلات

أ- الملاحظات

- 1- لن اعالج في مداخلتي، الناحية القانونية والمراسيم والدراسات التاريخية للدمج المدرسي، ولن أتطرق الى التعاريف العلمية عن التوحد أو التثلث الصبغي 21 أو غيرهما...
- 2- ولأشير الى حالة التلامذة سأستعمل كلمات: المختلف أو الاختلاف، ذي احتياجات خاصة، ضعيف، عنده صعوبة... (لن استعمل كلمات : معوّق، معاق، إعاقه، تخلف...)
- 3- لا شك أنّ هنا وهناك مبادرات دمج تلامذة ذوي احتياجات خاصة، منها فردية ومنها تابعة لجمعيات أو مؤسسات. وهي خطوات جبّارة تستحق التقدير، وعليه فأنا أشدد من على هذا المنبر وبحق، على أن الدولة هي المسؤولة أولاً وأخراً عن كل طفل يحمل الجنسية اللبنانية، فمن واجبها أن تؤمن له التربية والتعليم والطبابة مهما كان وضعه، فكم بالأحرى إذا كان هذا الطفل يحتاج إلى عناية خاصة؟

ب- التعاريف

- 1- عملية الدمج المدرسي: Inclusion scolaire يقصد بها إدخال الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية، مع رفاقهم من العمر نفسه ليدرسوا ما بوسعهم من البرنامج المقرر للصف مع مساعدة تربوية خاصة بهم وخدمات التربية الخاصة المساندة.
- 2- المساعدة التربوية الخاصة (AVS) Auxillaire de Vie Scolaire تهتم بمرافقة التلميذ ذي الحالة الخاصة لجهة صحته أو سلوكه أو تأخره (إذا لزم الأمر)، وذلك لدمجه مع رفاقه

والانتباه لسلامته ومساعدته في التعلّم والعناية الخاصة، وذلك تحت اشراف معلمة الصف والفريق المتخصص المرافق للتلميذ والمساند له.

3 - هناك نوعان من الدمج المدرسي:

الأول: يطال التلامذة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يشكون من اضطرابات عقلية أو حركية أو لفظية أو كلامية أو سمعية...

الثاني: يطال التلامذة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يشكون من صعوبات مسلكية أو صعوبات في التركيز.

ج - التساؤلات

1 - كنت أسأل نفسي ومن هم حولي: ماذا لو كان هذا أو ذاك التلميذ المختلف إبني أو أخي أو ربما أنا؟

2 - لماذا نحن نخاف من المختلف أو الاختلاف؟ هل لا يزال يوجد في داخلنا مكان مظلم لم نكتشفه بعد؟

3 - ماذا لو تعرّضت لحادث فقدت فيه بعض أعضائي وأصبحت بحاجة لعناية خاصة؟

ثانياً: القناعات

أ - القناعات الروحية:

يقول يسوع المسيح في انجيل لوقا «من قَبْلَ أَحَدِ هَؤُلاءِ الصِّغَارِ بِاسْمِي، فَقَدْ قَبَلَنِي أَنَا» (لوقا 9: 48). وفي انجيل متى يقول «كل ما صنعتُم شَيْئاً لِإِخْوَتِي هَؤُلاءِ الصِّغَارِ فَلِي قَدْ صَنَعْتُمُوهُ». (متى 25: 40).

فالسيد المسيح أولى الإنسان اهتماماً خاصاً وبدون تمييز: فقد أحب الضعيف والضعال والمحتاج، وشفى المريض والمقعّد والخاطيء، وتقرّب من الأعمى والمنبوذ والأبرص ... هؤُلاءِ هم الصِّغَارِ، فقراء الله، وبهذه الفئة يوصينا الله ويدعونا للاهتمام بها. وقد صدر عن الكنيسة عدة تعاليم تركّز على فرادة الإنسان وكرامته. من هنا جاءت خبرات كثيرة في هذا المجال في تاريخ الكنيسة أذكر

منها: جان فانبييه مؤسس الزورق، والأم تريزا دي كالكوتا، ومار منصور دي بول، والأم ايزابيل مجددة رهبانيتنا وغيرهم وغيرهم....

ب - القناعات الانسانية:

الولد «المختلف» هو طفل مثل كل الأطفال. انتظره اهله وحلموا له بمشاريع كبيرة وبمستقبل زاهر. ما ذنبه اذا وُلد مختلفاً؟ ماذا يمكن لأهله ان يفعلوا؟ وما مستقبله إذا لم يتعلّم ويتطور؟ من هنا ضرورة قبول فكرة الاختلاف واحترام التلميذ كما هو، ومنحه فرصة التعلم والتطور مثل باقي التلامذة الذين يقصدون المدرسة. من يدري ما هو مشروع الله له؟

ج - القناعات الشخصية:

منذ طفولتي، تعلقني حالات الانسان المختلف، ففي مرحلة تخصصي قصدت في احدى فرص التمرين مؤسسة الـ IRAP في عين عار التي تهتم بالخرس - البكم، وفي سنة التمرين المهني شاءت العناية الإلهية أن يكون في صفي تلميذة عندها التثلك الصبغي 21. لا تزجج الصف، ولكنها لا تشارك، لها عالمها الخاص. وقد توصلت أن أعلمها القراءة والكتابة وهي اليوم تمارس مهنة حرفية. وفيما بعد، وكمديرة دروس، تابعت حالات تلامذة مختلفين عن رفاقهم وتعاملت معهم من منطلق انساني- تربوي، ونجحت نسبياً بالإمكانات التي كانت متوافرة.

د - القناعات التربوية:

في مرحلة دراستي تعمقت بأفكار ماريا مونتيسموري وتبنت طرق التعليم التي مارستها. واقتنعت أنّ كل انسان، مهما كان وضعه، يتمتع بطاقات وقدرات قابلة للتطور والانتاج حتى الابداع. وبقدر ما نتعامل مع التلميذ المختلف بعمر مبكر، بقدر ما يتجاوب بطريقة أفضل ويتخطى العوائق، وبالأخص عندما يشعر بمحبة الآخرين له وقبولهم لوضعه.

ثالثاً: خبرة الدمج في مدرسة ثانوية السيدة للراهبات الأنطونيات في الحازمية والجمهور

لست سنوات خلت، كنت في بحث دائم، وقلق نفسي عما يمكنني ان أفعل لهؤلاء الأطفال. وفي بداية السنة المدرسية 2006 - 2007، لاحظنا في قسم ما قبل الحضانة طفلاً بعمر سنتين لا يخالط

رفاقه، يبكي ويصرخ في الزاوية. ولاحظنا طفلاً آخر لا يلتزم مثل رفاقه بتعليمات حاضنة الأطفال. تبين لنا أنهما في حالة التوحد. أمام هذا الواقع، قلت في نفسي : ربما حان الوقت للقيام بشيء متخصص من أجل هؤلاء الأولاد. وكانت الشرارة الأولى للمشروع. ولكنني أعرف جيداً أنّ الدمج المدرسي هو مشروع مدرسة بكاملها وفعل شراكة بين مختلف أعضاء الجماعة المدرسيّة: انطلاقاً من دَوْر مدير/مديرة المدرسة حتّى دَوْر الموظفين والأساتذة والأهل وعلى الأکید دور التلميذ نفسه، في تجاوبه وفق المعطيات والقدرات التي يملكها.

1 - عملية الدمج في المدرسة: مرحلتان أساسيتان

أ - المرحلة الأولى: طرح فكرة المشروع

قرأت وفكرت وصليت واستشرت خبراء واستمجت بعض الآراء حولي، وطلبت من الفريق الطبي - النفسي - الاجتماعي ان يقوم بمسح شامل للتلامذة الذين يعانون من صعوبات تعليمية (وللحاجيات البشرية والمادية الموجودة) للمضي بالمشروع. بعدها طرحت الموضوع على مجلس الادارة في المدرسة والمجلس الاستشاري التربوي مبيّنة ايجابيته ومحاذيره. لم يعارض احد الفكرة، بل بالعكس، تحسس الجميع ضرورة تدارك حالات «الاختلاف»، والتعامل معها في وقت مبكر من منطلق علمي. إنما يجب ان نعمل بترو ورؤية واضحة.

طرحت المشروع في الجمعية العمومية الثانية للهيئة التعليمية (في آذار) مبيّنة فوائده على التلامذة الذين يعانون من صعوبات بالتعلّم، وشددت على ضرورة متابعة الدورات التدريبية اللازمة، وتأمين الوسائل العلمية والتجهيزات والفريق المتخصص... ولكن كالعادة، كانت هناك ردّات فعل سريعة من بعض المعلمين، أما الاكثريّة منهم فقد أبدوا استعداداً للتعاون واعتبروا القرار خطوة مهمة في مسيرة المدرسة وانفتاحها على التطور التربوي. كما ناقشت المشروع مع أعضاء لجنة الأهل الذين رحّبوا به واعتبروه نقطة ايجابية في مسيرة المدرسة طالما لا يؤثر سلباً على باقي التلامذة.

ب - المرحلة الثانية: الخطوات العملية: التدريب والتجهيز وتأمين الفريق المتخصص

تعاقدت الإدارة مع قسم التدريب في الجامعة اليسوعية (USJ) لتدريب كل معلمات مرحلتي الحضانة والقسم الابتدائي، بمعدل ثلاث ساعات كل اسبوعين وعلى مدى سنتين متتاليتين. ثم عيّنت

للمشروع مسؤولة، قامت بزيارة مدارس متخصصة واطلعت على دراسات وخبرات سابقة، وأمّنت كتباً وأبحاثاً ودرست حالة كل تلميذ عنده صعوبات تعليمية. بعدها كان من الضروري تحضير الأمكنة للفريق المتخصص من مكاتب وقاعات للتطبيق مع اللوازم والوسائل، وتسهيل دخول وتنقل التلامذة ذوي الحاجات الحركية (IMC) (مصعد، كراسي متحركة، منحدر...).

وأمّنت الإدارة أيضاً فريق الأخصائيين المؤلف من أخصائية في العلاج اللغوي Orthophoniste، وأخصائية في العلاج النفسي الحركي Psychomotricienne وأخصائية في التربية التقييمية Orthopédagogue ليكمل الفريق الموجود في المدرسة والمؤلف من طبيب الأطفال Pédiatre وأخصائية علم النفس العيادي Psychologue scolaire وممرضة Infirmière ومساعدة اجتماعية Assistante sociale.

2- من هم الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة؟ كيف يتم قبولهم؟

- الأولاد بحالات التوحّد بدرجة بسيطة ومتوسطة Asperger. Autisme léger et moyen.

- الأولاد بحالات التثلث الصبغي Trisomie 21 بدرجة بسيطة ومتوسطة

- الأولاد بحالات الشلل الدماغي Infirmite moteur et cérébral (IMC) بدرجة بسيطة ومتوسطة

- الأولاد ذوو الحركة المفرطة مع صعوبات في التركيز والانتباه (TDAH) Enfants Hyperactifs

- الأولاد الذين يعانون من اضطرابات التعلّم المدرسية المحددة بالعسر في القراءة والكتابة والحساب Dysorthographe, Dyscalculie, Dyslexie.

شروط القبول

تعطى الأفضلية لأولاد العائلات التي اختارت مدرستنا لأنها تتسجم مع نظرتهم التربوية والانسانية والروحية ووفقا للقيم التي يؤمنون بها.

ونبدأ بان يقدم أولياء أمر التلميذ تقريراً طبياً يتضمّن شرحاً مفصلاً لحالة ولدهم، وقد يُضاف

إليه (بطلب من المدرسة عند الحاجة، ووفقاً لما يراه الفريق المتخصص من ضرورة)، تقارير أخرى لتوضيح نقاط القوّة ونقاط الضعف ليتم العمل عليها من النواحي النفسية أو اللّغوية. ثم يدرس الفريق المتخصص هذا التقرير ويحدّد مقابلة للولد برفقة الأهل، حيث تشرح خلاله كل متخصصة حاجات الولد، وبنتيجة كل ذلك يتم التسجيل. وعلى هذا الأساس تحدّد التكاليف، مثلاً 300,000 ل.ل. شهرياً للخدمات الثلاث، عدا المرافقة الخاصة 500,000 ل.ل.

رابعاً: واقع الدمج اليوم في المدرسة وانعكاساته

إنّ مدرسة ثانوية السيدة للراهبات الأنطونيات في الحازمية والجمهور هي مدرسة ثانوية، تحضّر المنهجين اللبناني والفرنسي، تستقبل تلميذاً واحداً في كل شعبة (إمكانية قبول 4 تلامذة في كل صف) ليتابع المنهج حسب قدراته، ترافقه مساعدة تربوية خاصة (إذا دعت الحاجة). كل التلامذة في الصف ينتمون إلى الفئة العمرية نفسها تقريباً. المعلمة تشرح للتلميذ «المختلف» على حدة حسب معطياته والمرافقة تساعده. يتابع التلميذ مع كل من أخصائية العلاج اللّغوي وأخصائية العلاج النفسي الحركي والإخصائية في التربية التقييمية والمعالجة النفسية مرة أو مرتين في الأسبوع. يدير هذا البرنامج مسؤولة خاصة تتعاطى مباشرة مع إدارة القسم والفريق المتخصص والمعلمين والأهل. وتطلب التقارير الدورية وتنسق مع الفريق المعالج خارج المدرسة في حال وجد. أما مديرة المدرسة فهي تعالج فقط الحالات الاستثنائية والمستجدات.

في الامتحان، تحضّر أخصائية التربية التقييمية مسابقة خاصة لكل تلميذ انطلاقاً من مسابقة الصف وبالأهداف التربوية نفسها إنما بطريقة مختلفة تخضع لتعديلات منظّمة تمكّن التلميذ من التكيف بحسب صعوبته مع هذه الأهداف. مثلاً: بدل أعطِ انتق مع عدة احتمالات QMC، 3 جمل بدل 6، اجمع بدل ميّز، يقدّم النص بخط كبير، يسجّل النص ويسمعه التلميذ بدلاً من ان يقرأ... في مواد الحفظ، يجيب التلميذ شفهيّاً وتكتب المساعدة الجواب، بدل الكتابة على ورقة المسابقة يمكن استعمال الكمبيوتر...

موقف الأهل

في المرحلة الأولى من تطبيق البرنامج، نظّمت ادارة المدرسة لجميع أهل التلامذة طاولة مستديرة

مع ثلاثة محاضرين عالجا أهداف المدرسة من المشروع وشرحوا الناحية التربوية-العلمية للدمج المدرسي، وقدم أحد مؤسسي جمعية «أنت أخي» شهادة حياة عن وضع ابنته في حالة التثلث الصبغي 21 وعلاقتها بشقيقاتها. وكان وقع هذه الشهادة ايجابياً جداً.

أما أهل التلامذة ذوي الاحتياجات الخاصة، رغم أنهم كانوا ينكرون واقع ولدهم المختلف، ويرفضونه في البدء، فعندما رأوا ولدهم يرافق اخوته الى المدرسة نفسها ولاحظوا التقدم الذي احرزه غيروا موقفهم وبدأوا يقبلون واقع ولدهم ويتعاونون مع الفريق الى اقصى حد. وقد حددت مديرة البرنامج مرّة في الشهر لتجتمع فيه مع أهل كل تلميذ على حدة لتطلعهم فيه على وضع ولدهم، وهم بدورهم يستشيرونها في بعض الأمور.

موقف التلامذة

قامت المدرسة بحملة مع التلامذة من عمر 6 سنوات وما فوق للتوعية على ضرورة قبول التلامذة المختلفين، وذلك من خلال الأفلام والزيارات الميدانية إلى المراكز والأبحاث والمناقشات. واليوم نلاحظ ان الرفاق في الصف تعودوا على الوضع. يعرفون ان رفيقهم «مختلف» عنهم. يتعاضدون معه ويساندونه إلى أقصى حد. حتى أنهم يتسابقون ليعاونوه، ويبقون معه في وقت الفرصة ليتحدثوا معه.

وهنا أود ان أنوه بخبرة مع تلميذ بعمر 7 سنوات بحالة الشلل الدماغي (IMC) بدرجة متوسطة. كان يرفض المجيء الى المدرسة بعد فترة تغيب قسري بسبب عملية جراحية. قمنا بعدة زيارات له، وقدم له رفاقه هدية وحضروا له استقبالاً في الصف. بعدها قال لأمه: «ما بقى لازم غيب، رفاقتي بيحبوني بدي روح شوفن بالمدرسة وسليهن بالفرصة».

أين نحن اليوم على الأرض؟

بعد خبرة لنا مع بعض التلامذة من ذوي الاحتياجات الخاصة العائدة إلى الحركة المفرطة مع صعوبات في التركيز والانتباه، هناك تلميذان نجحنا هذه السنة في الامتحانات الرسمية للصفوف النهائية مع طلب خاص في مركز متخصص، كما قدمنا طلب إعفاء من الشهادة المتوسطة لتلميذة عندها صعوبات تعليمية وصعوبات في التركيز، وهي تتابع هذه السنة الصف الثانوي الثاني.

واليوم، تضم المدرسة حوالي 15 تلميذاً بين صفوف الروضة والأساسي السابع بحالات مختلفة، وهم يتقدمون بمستويات متنوعة. والحمد لله نحن مرتاحون لمسيرتنا في هذا المشروع ونعتبر أننا في الخط الصحيح. خاصة أننا نساعد التلميذ ليقبل واقعه، ونساعد العائلة على قبول الولد المختلف مثل باقي الأخوة ومعاملته بطريقة طبيعية. وأحياناً ننظّم لهم اجتماعات خاصة يتبادلون فيها الخبرات مع بعضهم.

انعكاس البرنامج على المدرسة

أظهر التقييم الذي أجري على مدى خمس سنوات من تطبيق البرنامج أن نتائجه ايجابية على الصعيدين النفسي والعلائقي دون إهمال الشق التربوي بحيث يستفيد عدة تلامذة من الفريق المتخصص. وتشعر المعلمات أنهن محاطات بخبراء يستشيرونهم في الصعوبات. وقد ساد جو تفهم وقبول عند الجميع في المدرسة. كما أن فكرة تقبل الآخر المختلف والنظرة الانسانية إليه تغيرت كثيراً مع كل الفرقاء: ادارة ومعلمين وأهل. وأصبح التلامذة ذوو الصعوبات التعليمية أكثر ارتياحاً لأنهم يخالطون تلامذة بحاجة لعناية أكثر منهم. وهناك رضى عام عن البرنامج في المدرسة بعد أن واجه في بدء انطلاقاته بعض المواقف المشككة بأهميته وإمكانية المضي فيه بجدية.

والآن، إلى أين؟ نحن مقتنعون بالمشروع ونعمل فيه بترؤ، الى أين سنصل؟ نحن جديون ونعالج كل حالة من التلامذة على حدة، إننا ماضون فيه طالما نستطيع أن نعطيهم شيئاً جديداً يستفيدون منه.

خاتمة

سأنهي مداخلتى بتساؤلات تضعنا نحن التربويين أمام مسؤوليتنا، وربما تحركنا من الداخل وتحفزنا لتخلق عندنا رؤية تربوية شاملة تخدم الخير العام:

1 - ماذا عن دمج التلامذة المتفوقين في مدارسنا الذين يصبحون أحياناً كثيرى الحركة في الصف لأننا لا نحفزهم كفاية ونريدهم مثل غالبية تلامذة الصف؟ أليسوا هم أيضاً من مسؤوليتنا؟ من يعطيهم حقهم؟!

2 - ماذا عن الدمج المجتمعي في لبنان للأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة: إن لجهة قبولهم في

المجتمع والعائلات وميادين العمل أم لجهة النظرة اليهم أو مساعدتهم؟ أليسوا مواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات تجاه وطنهم؟ ماذا تؤمن لهم الدولة؟

3 - أين أصبح مشروع الدمج الوظيفي من أجل عيش كريم؟ أُصدرت بعض القوانين، فمن يعمل على تطبيقها؟

4 - ماذا بعد وفاة الأهل؟ خاصة أهل الذين هم مجروحون بذكائهم، هل سيهتم بهم إخوانهم؟ هل سيكون الوصي عليهم صادقاً بحقهم؟

5 - لننظر الى بعض النماذج في الدول المتقدمة مثل استراليا وكندا وأميركا التي تولي الناس ذوي الاحتياجات الخاصة اهتماماً كبيراً لجهة الطبابة والمرافقة. أين نحن منهم في لبنان؟

أيها الزملاء التربويون، ارجو أن تكون هذه التساؤلات مدخلاً إلى صياغة توصيات يخرج بها هذا المؤتمر للمطالبة، ودون ملل بإنصاف كل طفل وبالأخص ذي الاحتياجات الخاصة. فلنسأل لننل، ولنطلب لنجد، ولنصرخ عالياً، فلا بدّ من أن يكون هناك من يسمع لنا، لأننا باسم الطفولة نسأل ونطلب ومن أجلها نصرخ. وشكراً.